

تحديات تنشئة الأبناء في واقعنا المعاصر - قواعد ووصايا -

The challenges of raising children in our contemporary reality -
rules and commandments -

د. أحمد الفراك *

كلية أصول الدين وحوار الحضارات، جامعة عبد المالك السعدي، (تطوان-المغرب)

rachid1433@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2022 /02 /17 تاريخ القبول: 2022 /03 /05 تاريخ النشر: 2022 /03 /24

الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية قضية تربية الأبناء وتنشئتهم على المنهج الصحيح، الذي يبني عقولهم وضمائرهم قبل أجسادهم وأشكالهم، وهذا الموضوع يعد من أخرج القضايا الشائكة، التي يعاني منها جميع أصناف المجتمع، وتزداد صعوبة ومشقة يوما بعد يوم، خاصة في ظل التحديات الراهنة، فجاء هذا البحث ليفكك هذه المسألة، ويذكر بعض الحلول المناسبة، في شكل قواعد محددة تغطي كافة مراحل النمو لدى الطفل، وهي قواعد مستوحاة من تجربة الحكماء والعلماء عبر العصور التاريخية، ومما زاد البحث أهمية طريقة معالجته للموضوع، حيث اعتمد على الطريقة العملية التطبيقية، التي تعد الأصعب في حلقات تقويم السلوك الإنساني .

الكلمات المفتاحية: تنشئة؛ الأبناء؛ الواقع؛ قواعد.

Abstract:

This research paper deals with the issue of raising children and raising them with the right approach 'which builds their minds and consciences before their bodies and their forms. The research to dismantle this issue 'and mention some appropriate solutions 'in the form of specific rules covering all stages of development in the child ' which are rules inspired by the experience of sages and scholars throughout historical ages 'and what increased the research importance of the way' it deals with the subject 'as it relied on the practical and applied method 'which is the most difficult in human behavior assessment sessions.

Keywords: bringing up; children; Indeed; Grammar.

مقدمة:

لعل من أكبر المشكلات التربوية المعاصرة التي تواجه الآباء والأمهات، والأمة الإسلامية عموماً، تحدي تنشئة الأولاد تنشئة تحفظ وصية الجيل المؤسس؛ جيل الإيمان والإحسان، جيل الوصية الخالدة ﴿وَأَوْصَىٰ بِمَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 131)، تنشئة تصنع بفضل الله جيل غد فاعلاً، جيلاً يحمل مشروعاً تجديدياً يصنع المثال ويفك الرقاب.

يهدف هذا البحث وهو موجه إلى جميع المتدخلين في شأن الطفولة والأسرة، إلى مساعدتهم في تنشئة الأطفال تنشئة إيجابية شاملة تؤهلهم ليكونوا منسجمين في أنفسهم، صالحين في أوطانهم، وامتداداً لعمل آبائهم بعد انقضاء أجلهم، ذرية مؤمنة صالحة بعضها من بعض، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الطور: 21).

ولعل أهم الأسئلة التي تطرح بهذا الصدد: كيف يعدُّ الأبناء إعداداً كاملاً، متوازناً وشاملاً، يحقق النجاح والتفوق في الدنيا والفلاح والفوز في الآخرة؟ كيف يكون الولد عملاً صالحاً لوالديه

ولوطنه وللإنسانية؟ وما هي القواعد التي تؤطر هذا الإعداد في واقع معقد ومتغير فيه شركاء متشاكسون؟

قاعدة 1: القدوة وحدها هي علم الحياة

القدوة والقدوة في لسان العرب هي: الأسوة. يقال: فلان قدوة يقتدى به، والقدوة: القرب¹. والنبي صلى الله عليه وسلم أسوة لجميع الخلق في كل خير، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21)، فهو الإمام والمربي والمعلم والشاهد. أسوة كاملة، قرآن يمشي بين الناس، نموذج خالد، نور مبین، سراج منير. فقد "علّم صلى الله عليه وسلم بالكلمة، وعلم بالقدوة، وعلم بضرب الأمثال"²، والقدوة في التعليم والتربية أبلغ من الكلمة والمثل، وكل من سبق وصدق في خير ما فهو قدوة فيه لغيره.

الوالد (أماً وأباً) قدوة للولد والحفيد، وكذلك الأخ الأكبر والمعلم والمدرّب، ولا معنى للقدوة إن لم يكن المقتدى به محبوباً وقريباً ومؤثراً فيمن يقتدي به، يؤنس بحنانه، ويوجه بخبرته، ويعطي النموذج في الرحمة والحكمة للاقتداء. يقول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا **** على ما كان عوده أبوه

الطفل كائن طري، صفحة غضة نقية، إذ يولد على الفطرة سليماً من العقد والأدواء النفسية والاجتماعية والثقافية، في الحديث النبوي: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"³، يفتح عيني بصره وبصيرته على والديه وأسرته، وأول ما يحتاجه هو القدوة الصالحة الصادقة الخيرة، يبدأ الصلاح من الأسرة والمدرسة حيث تلتقط الحواس الطرية والذهن البكر اللغة والمعنى وطرائق التفكير وموضوعات الاهتمام.

"الأسوة وحدها هي علم الحياة"، كلمة جامعة قالها مصطفى صادق الرافعي رحمه الله مؤكداً أهمية القدوة في التربية والدعوة والإقناع، بما يحبي الناس، ومنها يتعلمون وهي مثلهم الذي يتشوفون إليه في السلوك. وفي الحديث "اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم

من ذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني اتخذتُ خاتماً من ذهب فنبذه وقال: إني لن ألبسه أبداً" فنبذ الناس خواتيمهم⁴. ذلك أن صورة الفعل أبلغ من صدق القول.

الأب منظور إليه على كل حال؛ في حال فرحه كيف يفرح وما يفرحه كيف يعبر عن فرحه... فيتشرب منه الولد موقفه وكيفيات تصرفه، بوعي أو بغير وعي. وكذلك في حال الغضب. فلا ننتظر ببلادة مفاجأة القدر بيزوغ جيل جديد دون أن نسعى لذلك بالتخطيط والتربية والتعليم، والله الموفق من قبل ومن بعد. وكأن طفرة في التاريخ تصنع قدرها بيدها في لحظة وجودها، هذا لا يتفق والتربية المضادة تسرق الأجيال من حجب أمهاتهم وتبرمج عقولهم واختياراتهم وتدخلهم جحور ثقافة تمسح العقول وتمسخ الفطر.

من خصائص الطفل أنه يتعلم بالفكرة وبالصورة، وبالمثال، ولا يفرق بين المبدأ وبين الشخص. على خلاف الإنسان الراشد الذي يستطيع التمييز بين المبدأ وصاحب المبدأ. فليحذر الزوج أن يفضحه تصرفه ويسقطه فعله! وليعلم أن تصرفاته مع زوجته مسجلة عليه -والمرأة أيضاً مع زوجها- ومقتدى بها ومفكر بمقتضاها. والمربي الناجح مثلاً حي، أنموذج بشري يمشي على الأرض، وليس مجرد ظاهرة كلامية، يألف ويؤلف، يخاطب الناس ويعاشرهم بالمعروف، يحثهم على الخير ويسبقهم إليه، يحذرهم من المنكر ويتستر عنهم، رفقا بهم حتى يقلعوا عنه بحلم وأناة.

يدخل الوالد على أبنائه من عمله وسفره متهللاً، يحمل البشاشة والهدية بسخاء من غير تبذير، وينفق باقتصاد دون تقتير، وفيما بعهوده، لا يعاهد ابنه بما لا يطيق فعله، ولا يراوغ فيلقنه الروغان، متواضعا هينا لينا، يعلم بتواضعه أخلاق الإسلام عملياً، لا يبخس للولد حقه واختياره، أميناً حريصاً على الخير والحق والمعروف، وحليماً متغافلاً عن الخطأ والغلط والمهفوة. حذرا من تلطيخ صفاء الفطرة بكدر الشكوك والظنون والمخاوف والأوهام. فصغر السن لا يفيد قلة الذكاء، والطفل فيلسوف بطبعه كما يؤكد جاك لفين (Jacques Lévine)، وأسئلته مؤثر على تفلسفه كما يرى كارل ياسبرز (K. Jaspers).

مجرد كلام هي التربية والثقافة والتوعية، إن لم تتحقق في البيت المسلم وفي الجماعة المسلمة وفي المؤسسة والعمل وفي الأمة المسلمة قيادات ربانية ميدانية يشع نورها على غيرها قبل أن تنبس ببنت

شفة، فإن "الولد الذي يرى والده يكذب، لا يمكن أن يتعلم الصدق، والولد الذي يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه، لا يمكن أن يتعلم الأمانة، والولد الذي يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم الفضيلة، والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون، والأسرة هي المحضن الذي يبذر في نفس الطفل أول بذوره، وكيف بتصرفاته مشاعر الطفل وسلوكه"5، وقديما قيل: "من شبه أباه فما ظلم"، و"كما تدين تدان".

لا تنه عن خلق وتأني مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم

إن لم نقدم لأبنائنا نماذج ناجحة أخلاقا وأعمالا ليقتمدوا بها فإنها ستولي وجهها لمظاهر الثقافة السائلة الغالبة الهاجمة علينا في بيوتنا ومؤسساتنا عبر الإعلام المضاد والشارع المتسبب، وتتلقف منتجاتها بلهفة وتسليم. وإن لم نراجع خططنا التربوية والتعليمية والإعلامية، وقد أمسى باب التفسخ والمسخ مترعا أمام الناشئة، فلا حاجة للشكوى العاجزة والحولقة الباردة فيما بعد. وإن لم نفعل فإننا سننشئ جيلا متكلماً من غير عمل، بطالاً سهلاً، وتلك هي الكارثة؛ كثرة أرنية من غير طائل.

إن لم يتأدب الأولاد بآداب الإسلام وأخلاق القرآن فالسبل متاحة للضياع بين أمواج بحار الانحلال والجحود والاعوجاج، وقطيعه الأرحام بين الأجيال، وخاصة إذا كان الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي يعيشه الشباب مترديا. وإن لم يتوافق الأبوان وينسجما ويتعاونوا على إنشاء عش الزوجية وتميمته وحفظه، فعن أية إرادة نتحدث؟ وأية تربية نقصد؟

قال الإمام مالك رضي الله عنه: "لما أرسلتني أُمِّي إلى التعليم، أوصتني بقولها اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه"، وأدب السيدة "غالية" أم الإمام مالك مقدم على أدب ابنها. وتربية الأبناء من تربية الآباء ومحيط الرفقة، جيل مع جيل، وجيل بعد جيل. حاجتنا اليوم إلى برامج لتأهيل الأزواج لتكون الأمومة والأبوة محضنا تربويا فطريا، يعطي المثال من ذاته لا من الكتب، وخاصة الأمهات صانعات الأجيال، لأن "النساء بفطرتهن يحفظن استمرار الجنس البشري بما هن محضن للأجنة، وحضن للتربية، ومطعمات، وكاسيات ومدبرات لضرورات معاش الأسرة. هن المحضن لأجسام الأنام، والراعات لحياتهم، والوصلة الفطرية بين أطراف البشرية، والواسطة بين

جيل وجيل"⁶. أما إذا كانت الأم عاقلة والتربية مضادة مشوهة فسلام على التربية والتعليم والإنسان⁷. بروح مسجدية قرآنية يتصرف لا بنفس الثقافة الأرضية الغافلة.

قاعدة 2: الرفق زين والعنف شين

معلوم أن الرفق ضد العنف، فهو يفيد معاني اللين واليسر والتؤدة والصبر والحلم والمحبة والرحمة، قال الله تعالى رضا بخلق رسوله صلى الله عليه وسلم وتذكيرا بروح قانون التأليف بين الناس: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:153)، بالرحمة والحنان يشع اللين في المعاملة ويحصل التأليف بين القلوب، فيكون العفو والصفح والتشاور. وإذا غاب الرفق غابت القيم المتصلة به، وحصل الانتقام والكراهية والاستبداد والتنافر، ففي الحديث: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَيَّ مَا سِوَاهُ"⁸، وفي رواية مخاطباً أمنا عائشة رضي الله عنها: "عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"⁹، الرفق مزية وزين، والعنف منقصة وشين. ومن لا يرحم لا يرحم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على منبره يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: "رأيت هذين يمشيان ويعثران في قميصهما فلم أصبر حتى نزلت فحملتهما"¹⁰.

كان النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيّة سواء كانوا ذكورا أو إناثا يقبلهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم ويداعبهم، وكان إذا دخلت عليه فاطمة الزهراء رضي الله عنها فرح بها وقال: مرحبا بابنتي، وخرج يوما يصلي بالناس وهو يحمل أمانة بنت بنته زينب عليها السلام، فكان إذا ركع وضعها وإذا قام حملها. رحمة وقدوة وتعلima.

من الرفق إذن ملاعبة الطفل ومداعبته والتصابي له، بل ينبغي حثه على اللعب والرياضة البدنية ليبعد عنه الخمول والكسل. وعلماء التربية قديما وحديثا يؤكدون أهمية اللعب الهادف في تربية الطفل تربية متوازنة، سواء أكان لعبا فرديا أو جماعيا، شريطة مساعدته وتوجيهه، حتى لا يتعرض

للأذى لقلّة خبرته أو لضعف قوته أو لاستغلال الآخرين له. يقول ماكس شيلر: "يكون الإنسان إنساناً حين يلعب"¹¹، حيث باللعب وخاصة إذا كان لعباً جماعياً، يتعلم الطفل ثقافة الوسط الذي يعيش فيه بلغته وعاداته وحيله وطقوسه ومقولاته، ويتدرب على مهارات كثيرة ومتنوعة بتنوع الحركات والألعاب والتحديات والمغامرات. فضلاً عما يحققه من ترويح على النفس بالفرجة والدعابة والمزاح. وبالتنشئة وسط ثقافة ما يتشكل مزاجه وتتقوى روابط الصداقة مع بني جنسه ويندمج في روح الجماعة التي تحيط به. والمجتمع التعيس طفولته تعيسة.

حُبُّ لَأَبْنَائِكَ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ، الدِّينَ وَالْعِلْمَ وَحَسْنَ الْخَلْقِ بِرَفْقٍ، وَاغْرَسَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ بِبَشَرٍ، رَحِمَهُ عَلَى خِصَالِ حُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحُبِّ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ، فَالْمُرِّي الرَفِيقُ هُوَ الَّذِي يَنْوَعُ الْأَسَالِيبَ وَيَحْسِنُ اسْتِثْمَارَ الْأَوْقَاتِ وَالْمُنَاسِبَاتِ، وَيَغْضُ الطَّرْفَ عَنِ الْهَنَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، وَيُعَالِجُ الْأَخْطَاءَ بِحِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ وَصَبْرٍ، وَلَا يَعْزِ أَحَدًا بِلِقَبٍ مَكْرُوهٍ، وَلَا يَجْهَزُ عَلَى الْغَيْرِ فِي حَالِ الضَّعْفِ أَوْ الْفِشْلِ، بَلْ يَنْهَضُ وَيَحْفَظُ وَيُوَاسِي وَيُعِينُ. وَفَوْقَ طَاقَتِهِ لَا يَلَامُ.

القسوة على الأبناء وكثرة التوبيخ والتفريع في كل صغيرة وكبيرة تتحول إلى تخويف ملازم للولد، فيتوجس من كل حركة وينكسر أمام كل عقبة ويصاب بالاضطراب النفسي والخلج والتردد. والعنف على الأطفال يبعدهم عن الآباء ويفضلون غيابهم. وقد توصل خبراء التربية إلى أن الضرب لا يؤدي إلى إزاحة السلوك المرفوض المعاقب عليه ولا إلى محو نهائياً وإنما إلى تصريفه بطرق عنيفة وأكثر حدة. فالطفل الذي يضرب كثيراً يفضل الانعزال عن والديه، يأكل وحده وينام وحده ويجلس وحده، ويمكن أن تصل بعض الحالات إلى الانطواء أو الانحراف. إن القلب إذا أُكْرِهَ عَمِيَ، قال الله تعالى: {فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (الحج: 46). وإذا رأيت ما لا يعجبك {فاصفح الصفح الجميل} (الحجر: 85)، ولا تكثر العتاب ولا تفرط في العقاب. ومن ستر مسلماً ستره الله، وأولى الناس بالستر أهل البيت.

قاعدة 3: الثقة مصدر التقدير والاحترام

إذا كانت "الأسرة القوية عماد الأمة القوية، والأم المربية المصلحة عماد الأسرة" فلا قوة تذكر إن لم يتبادل الأفراد الثقة والمحبة والاحترام. ومن معاني الثقة لغوياً الربط والإحكام، فالوالد الثقة

مغناطيس يشدُّ إليه ولده عاطفياً وفكرياً، وإذا كان محط ثقتهم كانت لوصاياه وتوجيهاته المعنى والأثر في قلوبهم وعقولهم. وتُصدّقُ البنتُ أمَّها وتصدّقُها، يفتأَن بعضهن بعضاً بالذاكرة والحوار في مختلف القضايا النفسية والاجتماعية وغيرها، ويصحب الوالدان الأبناء إلى مجالس الخير، فينصت الطفل لتوجيه والده ويعمل بنصيحته.

بالمقابل أيضاً حريٌّ بالأب أن يثق بولده ذكراً كان أو أنثى وأن يفوض له القيام ببعض الأعمال التي يطيقها ويتدرج وحكمة، مثل بعض الأغراض الإدارية من وثائق وشهادات... وبعض حاجات الأسرة من تنظيف للملابس وترتيب للكتب وإعداد للطعام... إلخ، ففي الحديث سأل رجل عائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته شيئاً؟ قالت: نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته¹². فعجباً ممن يطمئن لعجزه واتكاله على غيره حتى في طي فراشه وتلميع حذائه!

العاجز عن تدبير أموره عاجز عن خدمة أهله ونفع أمته، أنا في ينتظر ببلادة أو كبير أو هما معاً أن يخدمه الآخرون فيسترو عورته ويشبعوا جوعته ويقضوا حاجته. يمنعه جنبه وجهله وتقاعسه من النهوض للعمل والتحمل والإنجاز. مجتمع الكسالى البطالين لا ينتج صناعة ولا يصنع حضارة، خاصة في عصرنا الذي كثرت فيه الملهيات والمغريات، زينتها الصناعات الشيطانية المتلاعبة بعقل الإنسان الماكرة بعاطفته السارقة لحلمه.

من أكد الواجبات في التربية أن يعرف الولد حقوقه وواجباته، حدود تدخله وإمكاناته، حتى لا يخلط بين ما له وما عليه، مثلما تلزم مكافأته مقابل كل إنجاز ناجح، وتشجيعه على التوكل والتخطيط والإقدام، ليتربى على المواجهة الميدانية والجرأة والشجاعة والإنجاز، بتدرج ومرونة لا بحماسة مفرطة أو غضبية مفرة.

كان المسلمون يعلمون أبناءهم كما في الوصية النبوية السَّيَّاحَة والرماية وركوب الخيل، وكلها نماذج من أعمال يتدرب فيها الشباب على معاني الرجولة والقوة والحزم والجهاد والمسؤولية والتحدي. تدريب تمتاز فيه الجدية بالتشويق والحفز، والرياضة عموماً تنشط الأبدان والنفوس، وتقلل من الإصابة بكثير من الأمراض، وإن كانت بعض "الرياضات" اليوم تضر ممارستها وتلحق

به الضرر بالناس أو بالبيئة، مثل الملاكمة التي توجه فيها الضربات العنيفة إلى وجه الإنسان، أو مصارعة الثيران التي يعتدي فيها الناس على الحيوان بشكل بشع، أو الألعاب التي تلوث الطبيعة... وقد ساهم في ذلك تجار الألعاب بتأثيرهم في عقول الصغار عبر الإشهار المؤدى عنه في أسواق الإعلام المزينة للأشياء التافهة، فيكلف الأبناء آباءهم اقتناءها بأعلى الأثمان..

قاعدة 4: تحمل المسؤولية تربية على التوكل والإنجاز

ينشأ الولد المسلم وهو يستحضر معاني الرقابة الإلهية والعناية الربانية به وبخلق الله أجمعين، حتى ترتبط عنده مسؤوليته عن أفعاله بخشية الله تعالى في السر والعلن، فيشعر بواجبه تجاه ربه وتجاه نفسه وتجاه الناس الأقرب فالأقرب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: "يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" ¹³.

لا بد للأبناء من هامش الحرية وهامش الخطأ وعدم ترسيخ التبعية العمياء والامعية الصماء، فالتربية لا تشترط التكلف والتصنع. والأخذ بمبدأ المسؤولية يفتح باب الحرية النافعة بطريقة هادفة لا تعدي فيها ولا ظلم، لا تمور فيها ولا تقاعس، وبالتالي فإن من شأن التربية على المسؤولية أن تُجنب الطفل الوقوع في عادات قبيحة كاللامبالاة والاستقالة والتواكل والسلبية والجنون. وكلها ممهّدات مساعدات على صناعة جيل المستقبل، ذلك أن "صنع تاريخ الإسلام. مسألة أجيال، مسألة قوة أجيال، مسألة كفاءة أجيال، مسألة إيمان أجيال، مسألة تربية أجيال، مسألة تأصيل أجيال، مسألة توصيل أجيال لتستقي من ينابيع الوحي وتستنير بأنواره" ¹⁴.

الوالد الموفق يتعاون مع ولده في تنمية ذاته وتطوير كفاياته، يحاوره ويوجهه ولا يستعلي عليه إن لم يلق قبولاً أو إقبالا، يشجعه في حال النجاح ولا يلومه في حال الفشل، بل يجعل من فشله فرصة للاعتبار وتغيير المسار. فالنجاح نجاحات، ولا منتهى لوجوه إمكانه. والخطأ تجربة مفيدة تحفز على الإنجاز وتعمق المعرفة بالموضوع قيد الاختبار، ولا تغش ابنك فإن الطبع يسترق، قال صلى الله

عليه وسلم: "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"¹⁵. وكان الله في عون الوالدين إذا كانا يقاومان بإسلامهما غارات إعلام ماسخ، وتدين متشدد، وعادات جارفة، وإدارة فاسدة.

إذا بالغ الوالدان في حماية أبنائهم، تشكلت عندهم شخصيات اتكالية جبانة غير قادرة على الاقتحام وتحمل المسؤولية والإنجاز، وخاصة في مرحلة المراهقة التي لا تكفي فيها نصيحة عابرة للأم أو الأب، وإنما تحتاج إلى قوة شخصية فضلا عن تظافر جهود الجميع، يقول الأستاذ عبد السلام ياسين: و"من أهم ما تندب الأمهات الصالحات والآباء الصالحون إليه أنفسهم إنشاء جمعيات من الطبيبات المحسنات والأطباء والفضلاء لرعاية الشباب وتوجيهه في طور المراهقة. طور يحتاج فيه الشاب وتحتاج الشابة من ينصح ويزود بمعلومات دقيقة عن كنه الثورة الجسدية وانقلاب الكيان البيولوجي. يحول الخجل وتحول العادة دون تلقين الأبوين معرفة البلوغ والمراهقة ومشاكلها. فالجمعيات الطوعية تنوب فيها أم عن أم في ترشيد البنت، وينوب أب عن أب في ترشيد الابن. ثم الكتب يؤلفها الطبيب المؤمن وتوضع في يد المراهقين تيسر وتبصر. من مآسي غياب التربية الجنسية الوقائية فطائع ليلة الزفاف. كان يغني عن المآسي كتاب، إن كتم العلم مجرب وعز ناصح وخجل الطالب والمطلوب"¹⁶.

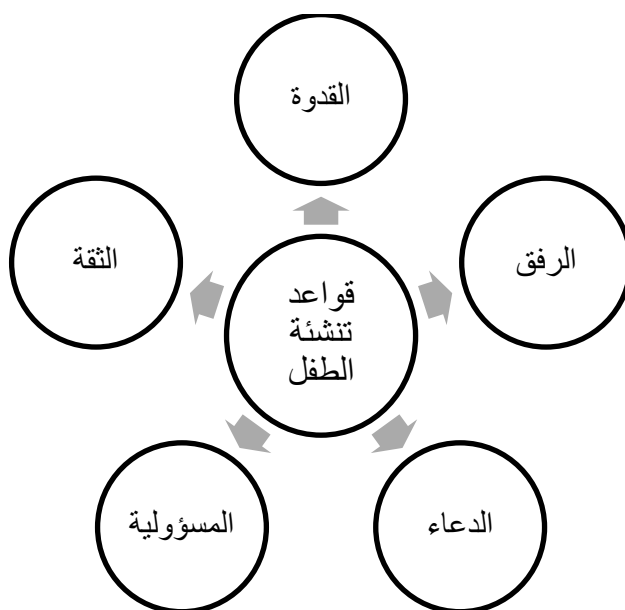
قاعدة 5: بالدعاء يحصل الاهتداء وترد أمواج البلاء

مفتاح الأمر في التربية هو الدعاء، والتضرع إلى الله تعالى ليهب لنا ذرية طيبة وينبتها نباتا حسنا، وليصلح بال أبنائنا وبناتنا، كما كان يفعل الأنبياء عليهم السلام، من قبيل: ﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: 38)، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي اتَّيْتُكَ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: 15)، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74)، فتكون النتيجة هي: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران: 37). فالهداية بيد الله وحده، ولا

يستطيع أحد أن يكون هاديا إلا بإذنه سبحانه، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة: 64).

من قصص القرآن الكريم في العناية الإلهية بالأطفال حفظُ الله سبحانه للفتى إبراهيم الخليل عليه السلام من النار، وللطفل يوسف عليه السلام في غيابات الحب، وللرضيع موسى عليه السلام من الغرق. ولفتية الكهف من ظلم قومهم، ولفتى الأخدود من نقمة الملوك... ويحفظ الله ذريات عباده الصالحين في كل حين، قال تعالى: ﴿كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: 82)، لذلك لا ييخل المؤمن من الدعاء في مواطن استجابة الدعاء لحفظ ذريته في عقبه إلى يوم القيامة، كان سعيد بن المسيب يقول لولده: "لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك" ¹⁷، وقال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت؛ إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه! وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح؛ ولده وولد ولده، والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر ¹⁸، قال أبو العتاهية:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُحجب
فاجعل سؤالك للإله فإنما في فضل نعمة ربنا تتقلب



استنتاجات وتوصيات

نستنتج من خلال ما سبق أن:

1. البيت المسلم ليس مجرد مطعم ومضجع، وإنما هو بيت دعوة للخير والمعروف، وتربية على أخلاق الإسلام، ومن أجل ذلك يحتاج الصبر والاصطبار ودوام الدعاء والمصاحبة والحوار. وقد كان الإمام ياسين رحمه الله يدعو في جميع صلواته بهذا الدعاء القرآني: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74).
2. لست وحدك مربيا (مربية) لابنك وابنتك، فمعك شركاء تعرف منهم وتكر، ووسائل الإعلام الموجهة في عصرنا ابتلاء ما سبقه على وجه الأرض ابتلاء.
3. التعاون مع الأبناء حتى يشتد عودهم، ففوة الشخصية وتوازنها وإيجابيتها تأتي فيما بعد، ولا تصنع دفعة واحدة ولا تعطى جاهزة...
4. لست أنت من يحكم على سلوك ابنك، فقد تُخطئ من حيث تظن أنك تصيب. استره وتغافل عن خطئه، فمن ستر مسلماً ستره الله، والأبناء أولى بالستر لدوام العشرة.
5. النوابع قلة، وفي كل أمة من الأمم. فلا تخاصم ابنك وتخرجه بتفوق أقرانه وأبناء خؤولته وعمومته وجيرانه. فلا يصنع النبوغ بالحرص والتعنيف، كما قد يعود السبب في ضعف النتائج أيضا إلى التوجيه الدراسي أو المنهج التعليمي...
6. الأبناء كالفواكه تسقى بماء واحد، ويفضل بعضها على بعض في الأكل. فمن آيات الله أن تتفاوت قدرات الناس وتباين ميولاتهم وأذواقهم.
7. غالب الخصومات في البيت بين الأزواج أو مع الأولاد تكون في الدنيا وللدنيا، خصومات حظوظ النفس وما يقوله الآخرون وضغط التقاليد والعادات الاجتماعية.

8. مراعاة سن الطفل وإسعافه في وضعية انقلاب كيانه البيولوجي (المراهقة)، والتغافل عن أخطائه من غير أن تتركه سائبا تتلقفه رفقة السوء تجره إلى السوء.

9. تقاسم الأدوار بين الأب والأم في توجيه الولد، وإذا غضب أحدهما من سلوك شائن حن الآخر حتى يلجأ الابن وتلجأ البنت لأحدهما عند الخصام والتوبيخ.

10. لا تشك أبناءك لعائلتك وأقاربك وزوارك. إنما الشكوى لله وحده. والتنبيه بالرفق والقول اللين والوصية بالخير حيث كانوا. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

من مصطلحات البحث: تنشئة - قدوة - تربية - مسؤولية - ثقافة - رفق - ثقة - احترام - مراهقة - طفل - أجيال...

ثبت المصادر والمراجع:

- البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، دار الاعتصام للطبع والنشر، 2011م.
- ابن حبان محمد، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1432هـ/2011م
- ابن حنبل أحمد، مسند أحمد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1414هـ/1993م.
- ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1408هـ/1988م.
- الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1365هـ
- الحنبلي ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق محمد الأحمدي، مصر، دار السلام، ط 2، 2004.
- النسائي أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مكتب تحقيق التراث الإسلامي، بيروت، دار المعرفة، ط 5، 1420هـ.

- النجار عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 3، 1435هـ/2005م.
- سوزانا ميلر، سيكولوجية اللعب، ترجمة: حسن عيسى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 120، ط 1، 1408هـ/1987
- السورطي يزيد عيسى، السلطوية في التربية العربية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة عدد: 362، ط 1، 2009م
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، القاهرة، دار الاعتصام للطبع والنشر، 2011م.
- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، القاهرة، مكتبة الصفا، ط 1، 1423هـ/2003.
- قطب محمد، منهج التربية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ط 1، 1417هـ/1997م.
- ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة، الدار البيضاء، دار الآفاق، ط 1، 2000.
- ياسين عبد السلام، تنوير المؤمنين، الدار البيضاء، مطبوعات الأفق، ط 1، 1996م.

الهوامش:

- ¹ - ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الجليل، ط 1، 1408هـ/1988م، مادة: (قدا)
- ² - ياسين عبد السلام، تنوير المؤمنين، الدار البيضاء، مطبوعات الأفق، ط 1، 1996م، 2/344
- ³ - مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، القاهرة، مصر، دار الاعتصام للطبع والنشر، 2011م، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث: 2658
- ⁴ - البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مصر، دار الاعتصام للطبع والنشر، 2011م، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 6868
- ⁵ - قطب محمد، منهج التربية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ط 1، 1417هـ/1997م، 186
- ⁶ - ياسين عبد السلام، تنوير المؤمنين، مرجع سابق، 90/2
- ⁷ - ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة، الدار البيضاء، دار الآفاق، ط 1، 2000، ص 215 وما بعدها
- ⁸ - صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: 6693
- ⁹ - صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: 6694
- ¹⁰ - سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، رقم الحديث: 1585
- ¹¹ - سوزانا ميلر، سيكولوجية اللعب، ترجمة: حسن عيسى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ط 1، 1408هـ/1987، ص 5

- 12 - ابن حنبل أحمد، مسند أحمد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1414هـ/1993م، مسند الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، رقم الحديث 25341.
- 13 - الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1365هـ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث: 2516
- 14 - تنوير المؤمنات، مرجع سابق، 245/2
- 15 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم الحديث: 380
- 16 - تنوير المؤمنات، مرجع سابق، 284-285/2
- 17 - الحنبلي ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق محمد الأحمد، دار السلام، ط2، 2004، 554/2
- 18 - المرجع نفسه، الجزء والصفحة.

